

المادة / تاريخ الدولة العباسية

القسم الجغرافيا / المرحلة الثانية

المحاضرة الرابعة

المأمون والنهضة العلمية والفكرية

م.م. وئام عاصم أسماعيل

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، ولد سنة ١٧٠هـ في اليوم الذي ولى أبوه الخلافة وكان عمره ١٣ سنة، بعد ابن أخيه الأمين، وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همدان، ومنحه بمقتضى الشروط التي عقدها استقلالاً يكاد أن يكون تاماً، ولما توفي أبوه لم يَفِ له أخوه بعده، بل اراد أن يقدم عليه في ولاية العهد أبنه موسى فأبى ذلك المأمون فحدثت حرب بين الأمين والمأمون انتهت بقتل الأمين في ٢٥ محرم سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م.

بويع المأمون بالخلافة العامة في ذلك التاريخ، واستمر خليفة إلى أن توفي في ١٩ رجب سنة ٢١٨هـ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، أقام منها ببلاد خراسان من تاريخ ولايته إلى منتصف صفر سنة ٢٠٤هـ، وهو تاريخ قدومه إلى بغداد وأقام الباقي ببغداد حاضرة الخلافة العباسية.

من صفات المأمون: ميله إلى العفو وكرهيته الانتقام، فإنه عفا عن جميع من ساعدوا خصومه عليه، أمثال الفضل بن الربيع، فضلاً عن أن المأمون كان في جدله ميالاً إلى الاقناع، فكان يناقش من يخالفه حتى يبين له الحجة، ولم يكن بالمغفل الذي يُخدع برياء الناس ونفاقهم، إضافة إلى أنه كان أديباً يعرف جيد الشعر ورديته، ويثيب على ما أعجبه منه ثواباً فوق كل أمل.

كان عهد المأمون من أرقى عهود العلم في العصر العباسي، وذلك لأمرين الأول: أن المأمون نفسه قد اشتغل بالعلم وأمعن فيه حينما كان بمرور، فقد جالس

كثيرًا من العلماء وأخذ منهم العربية، فكان لذلك محبًا للعلم ولازدياد نشره. والثاني: ما كان في الأمة نفسها إذ ذاك حيث وجد فيها شوق العلم والبحث وكثرة العلماء في كل مصر من أمصار المسلمين، وكانت تنتشر نوعان من العلوم هما العلوم الدينية والعلوم العقلية.

وقد ظهر العديد من الرؤساء المتكلمين الذين توغلوا في البحث في اصول الدين والعقائد وحكموا في البحث عقولهم فكان نتيجة اعتقادات تخالف ما عليه عامة المسلمين وجمهور علمائهم المعروفين بأهل الحديث، وهم الذين يستمدون آراءهم من النصوص السمعية، كأوامر من آثار السلف، وكان أول ما نشأ ذلك الخلاف في مدينة البصرة، وامتد منها إلى بغداد، ومن الأمور أو المسائل التي اختلفوا فيها مسألة القدر وأفعال العباد، وهل أن القرآن الكريم قديم لأنه صنع الله أم هو حادث مخلوق لله كسائر المخلوقات، وقد أطلق على هؤلاء باسم المعتزلة.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الذين تهاونوا مع المأمون في مسألة القرآن أهمل المحدثون أمرهم وعدوا ذلك عيبًا من عيوبهم، وقد أوصى المأمون أخاه المعتصم الذي استخلفه من بعده بأن يسير بسيرته في القرآن الكريم.

تأثر المأمون بالكتب التي قرأها وأحس بنفعها لذلك، فقد اهتم بحركة الترجمة، وقد ساعده الجود والبذل في هذا السير، فكان بين المأمون وملك الروم مراسلات، فكتب إليه المأمون يطلب الاذن في انفاذ ما عنده من مختار العلوم القديمة المخزونة في بلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج مطر وابن البطريق وسلمان صاحب بيت الحكمة فانفذ البعض منها، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله إلى العربية، ومن الذين نقلوا هذه الكتب إلى العربية محمد واحد وحسن بنو شاعر المنجد، فقاموا بترجمة كتب اللغات والهندسة والموسيقى والطب وغيرها.

فالمؤمن يعد في الحقيقة حامل لواء هذه العلوم سبب تلك الحركة الكبرى التي
وجدت في الأمة الإسلامية.